جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات إسلامية معاصرة / العدد 41 / أيلول 2024

الترف في الاندلس
حكام الاندلس مثالا

Luxury in Andalusia
The rulers of Andalusia as an example

جعفر صادق الوهاب
Jaafar Sadiq Al Wahab

أ.م.د صفاء حسسين لطيف
Asst.Prof. Dr. Safaa Hussain Lateef

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الترف، الملوك والامراء، الاندلس، الشهوات.

Keywords: Luxury, Kings and Princes, Andalusian, Cravings.

الملخص:

الترف هو الطغيان والإسراف في النعم الحسية المادية والمعنوية، وكانت الأندلس بما تحويه من جوانب طبيعية خلابة وأخرى سلوكية و مادية متنعمة حاضنة مناسبة لظاهرة الترف، ولعل أبرز من تجلت فيه هذه الظاهرة في الأندلس هي الطبقة الحاكمة، ويظهر الترف في جانبين المادي والآخر المعنوي، فعلى المستوى الحسي فأن مظاهر الترف من عمرآن وثروات وملبس ومأكل كان الإسراف والمغالاة واضحة فيه، ومن الجانب المعنوي فقد طفى الترف على ثقافاتهم وسايكولوجياتهم وآيديولوجياتهم وحتى على مشاعرهم، فنرى ظاهرة الترف في الأندلس قد تركت بواعثها وآثارها على أفراد تلك الحقبة ولا سيما طبقة الملوك والأمراء منهم، وقد بان ذلك في لسان الحال والمقال عندهم.

Abstract:

Luxury is the domination and extravagance of physical and spiritual blessings, and Andalusia, with its beautiful natural and behavioral and material aspects, was a suitable incubator for the phenomenon of luxury. On the sensory level, the manifestations of luxury in terms of construction, wealth, clothing and food were wastefulness and exaggerations evident in it, and from the moral side, luxury has spread over their cultures, psychology, ideologies and even their feelings. This was in the language of the case and the article they have.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا حبيب إلا هو وأهله محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد

عندما تقتحم الرغبات مضمار الحاجات وتتجاوز حدود الإعتدال في متطلبات الحياة فحصيلة ذلك يكون الترف، فهي تلك الظاهرة التي تجعل الفرد والمجتمعات في حيز البطر والإسراف بالنعم ما ظهر منها وما بطن، فعند الدخول في باحة هذه الصفة تُفقدُ القناعة وتفسد المبادئ ويعلو الكبر والأنانية وعندها تطغى الأفراد وتهلك الأمم.

ولعل الأندلس بما اكتسبته من نعم مادية وأخرى معنوية تعدُ حاضنة مناسبة لهذه الظاهرة، فالطبيعة الخلابة وترادف الثروات الزراعية وكثرة الصناعات والموقع التجاري بين دول العالم وما احتوته من ثقافات وامزجة وعادات وتقاليد وطبائع كل ذلك جعل من الأندلس أيقونة للترف، و يبدو أن أقرب من تجلت فيهم هذه الصفة في الأندلس هم طبقة الحكام من ملوك وأمراء، لوفرة أسباب الترف عندهم من نعم مادية واخرى معنوية، واهتم بعضهم بالجانب الأدبي فكان لهم مقطوعات وقصائد شعرية ومنهم طبع له ديوان أمثال المعتضد والمعتمد ويوسف الثالث، فأطنبوا بموضوعات الفخر والغزل لأنه الأقرب إلى حياتهم المليئة بالترف، وقلة عندهم الموضوعات الأخرى، وأشاروا في موضوعاتهم إلى حياة الترف في الأندلس التي حكموها من خلال الفخر بملكهم و انغماسهم

بالشهوات، وقد عرضنا ذلك في بحثنا هذا من خلال المنهج الوصفي التحليلي لواقع الترف في الأندلس وكيف تمثل الترف في نموذج الطبقة الحاكمة في الأندلس، وحتى تكتمل صورة هذا البحث فقد قُسمَّ على مقدمة و تمهيد نعرض فيه الترف لغة واصطلاحاً ثم مبحثين الأول بعنوان الترف المادي والمبحث الثاني بعنوان الترف المعنوي ثم النتائج وتعقبها قائمة بأهم المصادر والمراجع المستعملة بالبحث، نسأل الله العلي القدير أن يمن علينا بالقناعة والرضا إنه سميع الدعاء.

الترف لغةً واصطلاحاً

- **الترف لغة:**

الترف في اللغة "هو التنعم، والترفة النعمة، والتتريف حسن الغذاء، والترفة بالضم: الطعام الطيب، الترفة مسقاة يشرب بها، وتُرِّفَ النبات: تروى وكثُرَ ماؤهُ، والتُّرْفة الشيءُ الطَّريف تختصُّ به صاحبَك. والترفة، بالضم: الهنة الناتئة في وسط الشفة العليا خلقة وصاحبها أترف."[1]، وقال الفيروز آبادي في قاموسهِ" والمترف هو الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش، وهو المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، وكفرحَ: تَنَعَّمَ، أو نَعَّمَتهُ، كتَرَّفَتهُ تَتريفاً والمُترَفُ، كمُكرَم: المَتروكُ يَصنَعُ ما يَشاءُ لا يُمنَعُ، والمُتَنَعِّمُ لايُمنَعُ من تَنَعُّمِهِ، وصبي مترف إذا كان منعم البدن مدللا، وأترف الرجل: أعطاه شهوته فأترفهُ أترفَ فلانٌ، أي أصر على البغي، بمعنى مستريح، مستمتع بنعمة، واستترف، تَغَتَرَفَ وتكبَّر وطغى، من الغنى والسعة، والنَّعيمُ والنُّعمَى بالضَّمِ: الخَفضُ، والدَّعَةُ، والمَالُ"[2].

"وترف الرجل وأترفه: دلَلَهُ وملكه، وأترفته النعمة أي أطغته، وأفسدته"[3].

و"ترِفَ يَترَف، تَرَفًا، فهو تَرِف، ترِف الشَّخصُ: تنعّم، وعاش في رفاهِيَة تعوّد على عِيشة التَّرف، كانَ رَجُلاً تَرِفاً: مُتَنَعِّماً فِي النَّعيمِ، والتُّرْفة الشيءُ الطَّريف تختصُّ به صاحبَك، و ترافَوْا على الأمر: توافَقُوا عليه وتظاهروا"[4].

فتمحورت معاني الترف عند أهل اللغة بشأن هذه المفاهيم، إذ بدأت بالتنعمِ والإسراف في الشهوات وإنتهت بالفسادِ والطغيان، وصارت هذهِ الصفة معروفةً في مضمار الحياة إلى أن أطلق بعض العرب أمثالاً على من تظهر عليه تلك الصفة، فقد استعمل العرب ألفاظاً خاصة لشديدي الترف، وقالوا في أمثالهم على من يحمل هذهِ الصفة" أترف من ربيب نعمةٍ"[5]، ويقال للمرأة المخدومة التي أُترِفت بالنعم "نؤوم الضُحى"[6].

الترف اصطلاحاً:

أما في الاصطلاح فقد عُرِّف الترف بأنهُ المغالاة في النعمة إلى حد التفريط، والإكثار من الترفيه واللهو، ومجاوزة حد الاعتدال في كل شيء وبغير ضابطة، والانغماس بالملذات من الأكل والشرب والملبس والمسكن وغيرها إلى حد نسيان الشكر والنزول إلى البهيمية، وقد ذُمَّ الترف في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتوعد الله الذين أترفوا بالعذاب الشديد، وعرفوه بأنّه البطر في النعمة والغفلة عن شكرها، وتجاوز حد الاعتدال فيها للوصول الى الملذات والملهيات والميل إلى الشهوات[7].

ومن العلامات التي أشار إليها القرآن الكريم في ذمهِ لهذهِ الصفة هي قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ**﴾[8]، وهي صفة أصحاب الشمال الذي وصفهم الله في سورة الواقعة، وأن الحال الذي بهِ

هم من العذاب لأنهم كانوا مترفين ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۞ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۞ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ۞ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ**﴾[9].

والترف هو المُسارعة في بلوغ الغاية لقضاء ما هو فائض عن حاجة النفس بشكلٍ مُفرط فيه سواء كان ذلك على المستوى الحسي أم المعنوي.

فعلى المستوى الحسي ما يظهر على الفرد من أنماطِ تلك الصفة، فالمأكل والمشرب والملبس والمسكن وطريقة العيش وكلّ ما أسهب فيه وأسرف، و"صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي"[10].

وعلى المستوى المعنوي فيندرج تحت هذا العنوان ما يعرف بالبطر، والكِبر، والفساد، وكل ما يحبس الفكر والثقافة والعقيد في زنزانة هذهِ الصفة.

الترفُ هو خطوات من الإسهاب والإفراطِ والانغماس بالشهوات والغفلة عن النعم تفضي إلى هذه الظاهرة، فتبدأ رحلة تلك الصفة تحيط بالإنسان من الداخل إلى أن تطفو على جوارحهِ حتى تغير مسار أفعاله وسلوكهِ، ثم يتحول إلى باعث ومؤثر في واقعهِ بهذه الصفة، فيكون الترف فيه داءٌ يُوقع صاحبه بالملذات والشهوات ويبعث بعدواه على محيطه ثم تصبح آثاره فاسدة مفسدة.

المبحث الاول: الترف المادي

كما إنَّ للطبيعة التأثير والمظاهر الملحوظة في الفرد الإندلسي فإن هناك مظاهر ومؤثرات أُخرى في مستوى الحس البشري تكون بارزةً في هيأة المكملات الحياتية من سكن وملبس ومأكل وتجارة وصناعة وعادات وتقاليد مجتمعية.

فالترف المادي يرتكز على مؤثرات متعددة ومظاهر منها:

- **المُبالغة في الهندسة العمرانية**

قبل الحقبة الإسلامية المُتمثلةِ بالأندلس لم يكن ذلك الاهتمام والمبالغة في العمرآن، ولكن بعد دخول العرب المسلمين بدأت الحركة العمرانية بالإزدهار والتوسع، مما جعلت لريفية الأندلس طرازاً جديداً متمثلاً بالتمدن.

وكانتْ من أبرز تلك المعالم العمرانية بناء المساجد الجامعة التي فاق عددها الألف مسجد، لأن المسجد في الأندلس يعد نواة المدن وعمرانها، إذ بمرور السنين يصبح المسجد قلب المدينة الذي تتفرع منه الطرق والأزقة، ومنه يُنطلق لمعرفة أبواب المدينة، وتحاط المساجد بالأسواق والمنازل، وبداخله تُعقد الإجتماعات السياسية وتصدر من طريقهِ الأحكام الدينية والتشريعية لتلك المدينة، ومن هنا برزتْ أهميّة المساجد في تلك الحقبة، ولعل من أهم وأشهر وأقدم تلك المساجد هو، " مسجد قرطبة (كاتدرائية) الجامع الذي بناه عبد الرحمن الداخل، وامتدت مدة بنائه ما يقارب القرنين من الزمن، وكان يصنّف من أجمل الجوامع في قرطبة، والكتابات والنقوش تملء سقوفه وجدرانه، تعرض للتخريب ومن ثم تحول إلى كنيسة بعد سقوط الأندلس"[11]، يعدُ هذا المسجد من أروعِ نماذج العمرآن الإسلامي والمسيحي، بفضل ما تضمنه من زخارف وثروات ابتكارية، ويليه من المساجد "مسجد المنستير لاريال، بُني ما بين القرنين التاسع والعاشر ويعد أقدم جامع في أوروبا بناه موسى بن نصير، وكذا مسجد باب المردوم أو مسجد نور المسيح الذي يعتبر من معالم طليطلة، ومسجد الزهراء وفخامتهِ في مدينة

الزهراء التي أنشأها عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر، وقد عمل في بنائه أكثر من ألف عامل، وبُني في ثمانية وأربعين يوماً، وزُوِّد بأعمدة وقبب فخمة ومنبر، ورُصِف صحنه بالرُّخام الأحمر، وكانت في وسطه نافورة"[12]، وكانت أبنيتهم في فنونها الهندسية " مزيجاً من الفن البيزنطي والقوطي والفارسي، ومن ثَمَّ ظهر الطراز المُدجّن، وابرز السمات الفنية التي اقتبسوها عن العرب هو الطراز الزخرفي، المُثقل بالزخارف والشمسيات والقمريات"[13]، وأحد أسباب هذه المبُالغة في الفخامةِ والمساحةِ الشاسعة هو مُشاطرة المسلمين النصارى في كنائسهم الكبيرة، لأن الجزيرة الآيبيريا [الأندلس] كانت قبل دخول المسلمين حاضنة للنصارى وكنائسهم، لذلك سعى المسلمون للتنافس معهم في كلِّ شيء، فظهرت حين إذن المبالغة في كل المفاصل العمرانية للمساجد من ناحية الزخارف والنقوش والمساحات إلى آخرهِ من مُعطيات الترف العمرآني، وهذا الأمر لا يَمُت إلى الإسلام والأخلاق الإلهية بصلة، وحقيقة نشر الإسلام واستقطاب الناس إلى الدين ليس بكثرة المساجد وزُخرفها وفخامتها، إنّما نشر الإسلام حينما يكثر العلم الصحيح ويُمحق الجهل، وتُكسى الأبدان العارية، وتشبعُ البطون الجائعة، هكذا يُنشر الإسلام ويُستقطب الناسُ للدين، فأن تجعل ذكر الله في قلوب الناس أبلغ بكثير من جعلهِ بين جدرانٍ مُزخرفةٍ بُنيت على آلآمِ الفقراء.

ومن المظاهر العمرانية في الأندلس التي بُولِغَ فيها أيضاً القصور الشاهقة والفخمة، ومن أسمى نماذج هذه الظاهرة (قصر الحمراء)، والذي شيده " الملك محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر في غرناطة، والذي استغرق بناهُ (150 سنة) لفخامته ووسعهِ والحوادث الزمنية والإدامة التي مرت عليه، واستعمل في بنائه أجمل الزخارف الرقيقة والدقيقة في تنظيمها، وكتابة الآيات القرآنية والأدعية والمدائح والأوصاف من نظم الشعر، ويكسو جدرانها زخارف من الجص الملون"[14]، ويعتبر من الكنوز التراثية في أسبانيا والمغرب.

والنموذج الآخر من نماذج الترف والمبالغة العمرانية للقصور هو المورق أو قصر المبارك كما عرفه بنو عباد، أو كما يعرف حالياً بقصر أشبيلية، "وكان في الأصل حصناً بناه المسلمون في إشبيلية، ثم تحول إلى قصر للحكم، وهو أقدم قصر ملكي لا يزال مستخدماً في أوروبا"[15]، العناية الهندسية والجمالية فيه لا تقل عن أقرانه، لأن المنهج العمراني في حقبة الأندلس سار على ديدنٍ واحد، والقصور العمراني الشاهق كثيرة منها (قصر قرطبة، وقصر طليطلة، وقصر شقوبية)، ولكلّ منها لمساته الخاصة حتى أصبحتْ هذه القصور في عصرنا الحالي تراثاً عالمياً يعتز به الأسبان والغربيون.

وكان لهذا المظهر التأثير البارز على ساكني الأندلس، وخاصة طبقة الشعراء والأدباء، إذ وقفوا على أطلالِ عظمةِ بناها، وجمالِ رونقِها وزخرفها، وتعدد قبابها، وهذا ما ذكرهُ ابن زيدون في كتابه إلى المعتمد بن عباد أمير إشبيلية، قائلاً:

وتأمـــل القصـــر المبـــارك وجنـــة ... قـــد وســـطت فيهـــا الثريـــا خـــالا

وأدر هنـــاك مـــن المـــدام كؤوســـها ... وأتمهـــــا، وأشـــــفها جريـــــالا

قصـــر يقـــر العـــين منـــه مصنـــع بهـــج الجوانـــب لـــو مشـــي لاختـــالا

لا زلـــت تفتـــرش الســـرور حـــدائقاً فيـــه، وتلتحـــف النعـــيم ظـــلالا (16)

وتوغل ذلك المفهوم إلى كثيرٍ من أبياتهم فنرى عبد الجبار الصقلي الملقب بابن حمديس الصقلي الراحل إلى الأندلس وهو يصف لنا عجيب رونق وسحر تلك القصور قائلا:

قصـــر لـــو أنـــك قـــد كحلـــت بنـــوره أعمـــى لعـــاد إلـــي المقـــام بصـــيرا

واشـــتق مـــن معنـــى الحيـــاة نســـيمه فيكـــاد يـــحث للعظـــام نشـــورا

أعيـــت مصـــانعه علـــى الفـــرس الألـــى رفعـــوا البنـــاء، وأحكمـــوا التـــدبيرا

ومضـــنت علـــى الـــروم الـــدهور ومـــا بـــ نـــوا لملـــوكهم شـــبهاً لـــه ونظيـــرا

أذكرتنـــا الفـــردوس حـــين أريتنـــا غرفـــاً رفعـــت بناءهـــا وقصـــورا

أبصـــرته فرأيـــت أبـــدع منظـــر ثـــم انثنيـــت بنـــاظري محســـورا

وظننـــت أنـــي حـــالم فـــي جنـــة لمـــا رأيـــت الملـــك فيـــه كبيـــرا(17)

فتردد هذهِ المعاني وغيرها في وصفِ هذا المظهر من مظاهر الترف العمراني يُنبأ المُتلقي بقوة تأثير هذهِ المعالم على أفراد الحقبة الأندلسية، وكيف أن لهذه القصور وزخارفها وسحرها وما تحملهُ من جماليات الهيمنة على النفوس ما جعلها عندهم تراثاً شاهداً على ترفية الأندلس وساكنيها.

لم تقتصر المبالغة العمرانية وتأثيراتها في المجتمع الأندلسي على المساجدِ والقصور فقط، إنما كان للحدائق والرياض الواسعة الدور البارز في هذهِ القضية أيضاً، فقد شغلت هذهِ الحدائق والرياض وأماكن الترفيه الجزء الأكبر من حياة الأندلسيين فيما أحتووهُ من صفة الترف، والمصاديق في هذا الجانب كثيرة منها حديقة قرطبة التي بناها "عبد الرحمن الأول، وأحضر لها نباتات من الهند وتركستان وإيران وسوريا، وفي القرن الرابع الهجري كان لقصور الزهراء بساتين وحدائق كثيرة وكبيرة، وكذا حديقة قصر الحمراء و جنة العريف التي تحيط بها في غرناطة"(18)، وما ميّزَ حدائق الأندلس عن سواها هو تفردها بهندستها وأنظمتها ومساحاتِها، فقد ساروا على "نظام التناظر الهندسي مع تنافر الألوان الزاهية واستعمال النباتات العطرية، وأُنشئت هذه الحدائق على شكل فناء يحيط بالقصر، وضمنوا فيها التماثيل بتحررِهم من التحريم الديني"(19).

الثقافةُ الحدائقية والترفيهية كان لها الصدى البارز لدى الأندلسيين، فانتشرت حول البيوت الاندلسية وكثرة أعدادها، بسبب المساحات العشبية الواسعة والمناخ المُلائم الذي وفرتها الطبيعة الأندلسية، وكانت لهذا المساحات الخضراء التأثير الكبير على الأندلس، وكانت غرناطة مشهورةٌ معروفة بالعنب وغزارة إنتاجهِ في حدائقها مما أدى

انتشار تعاطي الخمور[20]، وهذا النموذج يثبت بأنّ زيادة النعم مع عدم الشكر ينتج لنا صفات الترف التي تؤدي بنا إلى هذهِ النتائج.

ترادف مظاهر الحركة العمرانية من مساجد مزخرفة وقصور شامخة وحدائق ورياض خلابة "تركت في نفوس الأندلسيين آثاراً نفسية ووجدانية، كالفرح واللّهو والتّسلية"[21] فيكون حينها الإنسان الأندلسي متعرضاً لصفة الترف بشكل حسي غير مباشر، وذلك لأن مقدمات تلك الصفة حاضرة بين يديه بشكلٍ أو بآخر، وهذا التأثير يسري بدوره في الأفعال والأقوال ويكون حينها النسق القرآني مُأطِّراً لهذه الرؤية من الترف المادي في المبالغة العمرآنية من طريق أبياتهم الشعرية.

- **الثروات [زراعة – صناعة – تجارة]**

يعُد هذا المثلثُ أحد المؤثرات الأساسية في منظومة الترف المادي، لأن كل عنصر من هذهِ العناصر لهُ مستوى من التأثير، فالزراعةُ في الأندلس تهيئة لها كل الظروف الملائمة ولكلّ أنواع المزروعات وأجناسها وتقريباً، فتربة الأندلس خصبةٌ كريمة والتفاوت المناطقي في المناخ بشكلهِ المعتدل أدى إلى تنوع أجناس المحصول في الموسم الواحد، ومن ناحية المياه فهي عذبةٌ لا تنضب، ولا تخلو تضاريس الأندلس من تفرع الأنهار.

سَمَت الزراعة في الأندلس بسماء الاقتصاد على الرغم من سوء أوضاع الفلاحين وفرض الضرائب الباهظةِ عليهم من قبل الطبقة الأرستقراطية الذين استغلوهم أبشع استغلال، واستولوا على أراضيهم، ولكن لم يؤثر ذلك على الوضع الاقتصادي للزراعة أبداً[22]، ولكن هذهِ السطوة سببها حب الترف الذي أدرّتهُ عليهم الزراعةُ من واردها الزاخر.

وكان محصول الزراعة بكلا موسميها وافر في الأندلس ومن ناحية الحبوب والفواكة، فعلى مستوى الحبوب "انتشرت في مناطق كثيرة من الأندلس على غرار قرطبة غرناطة ألميرية وطليطلة وسرقسطة وغيرها من الأماكن، واشتهرت هذهِ المناطق بزراعة شتى انواع الحبوب من شعير وقمح والبقول من الحمص والعدس والحلبة، وأكثرها أهمية الرز الذي كان وفيراً جداً في بلاد الأندلس"[23]، وكذا الأمر بالنسبة للقسم الثاني المُتمثل بالفواكه فقد انتشر انتشاراً شاسعاً في الأندلس ورفع الاقتصاد الزراعي، وكانت "مالقة مشهورة بالتين بغض النظر عن بقية الأصناف، وكان من أهم الفواكه التي اشتهرت بها هو العنب"[24]، فأضفت الزراعةُ على الأندلسيين مدخلاً آخر من مداخل الترف والنعمة، ودخولهم في الترف ليس لكثرة نعم الزراعة إنما بتجاوز حدود القناعة واستغلالِ الإقطاعيين للفلاحين البسطاء، وتحويل الأرزاق إلى سيئات أمثال تحويل العنب إلى نبيذ.

وعلى مستوى القطاع الصناعي في الأندلس فهو المكمل لدور القطاع الزراعي، فقد تنوعت الصناعات في الكمّ والكيف، وكانت تَمُدُّ الأسواق المحلية والخارجية بشتى أنواع المنتجات.

اشتهرت الأندلس بقمة الصناعات بفضلِ مواردها الأولية المتوافرةِ بغزارة حِرَفيّيها المُتمرسين والمبدعين بأعمالهم وأفكارهم، ومن أشهر تلك الصناعات التي ملأتْ أسواق الأندلس المحلية وانتشرت في الأسواق الخارجية أمثال

"الصناعات المعدنية التي أُنتج من طريقها الأسلحة [السيوف والتروس وغيرها]، والفؤوس والمسامير وابواب المدن والقصور، كما توصلوا إلى صناعة مراسي السفن، وكل ذلك يرجع إلى غنى الأندلس بالمعادن وتعدينها ومنها الحديد، كما اشتهرت بالصناعات النحاسية والنسيجية والجلدية والخشبية والورقية والزجاجية والفخارية، وصناعة الحُلي، والقطع النقدية خاصةً الذهبية منها والفضية، وتوجهوا أيضاً إلى الصناعات الزراعية مما تتعلق بالأطعمةِ ونحوها"[25]، ومن جهة أخرى اشتهرت الأندلس بصناعة السكر والزيوت والصابون ونحوها من هذهِ الصناعات، وكذا كان اشتهارِها بصناعة الخمور وهذا ما أشرنا إليه وإلى أسبابهِ آنفاً.

وما شجع في نمو هذه الصناعات وتقدمها أمور كثيرة منها "أمن السواحل لقوة الأسطول، وتعويض الخسائر التجارية، وتوفير سيول الإقراض، وبناء الأسواق والفنادق والجسور وتوفير الموارد الكاملة للصناعة"[26]، وكان اشتراك النساء في هذا المضمار أحد العوامل المهمة في تجلي الصناعات وانتشارها.

كثرت الصناعات وعدم انحسار المواد الأولية سهلت ووسعت على الإنسان الأندلسي كثيراً من متطلبات الحياة، وشَقَّت له الطريق نحو محيط العيش الرغيد.

غزارة الصناعات وتنوعها كانت سبباً من أسباب نمو وتضخم الجانب التجاري في الأندلس، فعلى صعيد التجارة فقد "عرفت الأندلس رواجاً تجارياً متفاوتاً، و أزهى فترات الازدهار كانت في أثناء القرن الأخير من حكم الأمويين في الأندلس، وقد وصل تُجّار الأندلس إلى المغرب وليبيا ومصر وشرق المتوسط، بل إن هناك من وصل منهم إلى الصين"[27]، وكلّ ذلك يرجع إلى جودة الموقع الجغرافي القريب من الغرب، مما جعل التجار الأندلسيين يسوقون إلى سلعهم على نحو كبير

ومما ساعد أكثر كانت" المدن الأندلسية في القرون الوسطى أسواقاً دولية كما يُصطلحُ عليها في وقتنا الحاضر، وكان التجار ينتقلون بحريةٍ كاملة على طول الخطوط البرية والبحرية، التي كانت تربط الأسواق الأندلسية بغيرها"[28]، وكان القطاع التجاري في الأندلس يتميز بنشاطهِ ومراكزِهِ التجارية الضخمة، وكان" يتم تخزين السلع والبضائع التي يستوردها التُجّار المسلمون والمسيحيون واليهود من الخارج، في بعض مدن الجنوب قبل أن يتم توزيعها، لذا أصبحت هذهِ المدن تطلع بدور الوسيط بين المشرق والمغرب"[29] فبذا أصبحت الأندلس حلقة الوصل بين التجارة العالمية، على مستوى التسويق والإراد والتصدير، بفضل سعةِ أسواقها والاعتناء بها بمراقبتها وتنظيم المهن بها، وتخصص التجار بمهنهم، وجودة السلع والعدل في الموازين، وتبادل الخبرات مع الجميع، وانفتاح الطوائف مع بعضها، مما جعل من التعامل التجاري ذا إنسابيةٍ عالية ومنظومةٍ مُحكمة، ومما أضفى عليها نشاطاً أكثر الموانئ البحرية المُختلفة التي استطاعة ربط الأندلس مع عدد من مناطق العالم، فتضافر هذهِ المُسببات التجارية بأتم مستوياتها يجعل من التجارة الأندلسية برزخاً لأدنى صعوبات الحياة، فكلُّ ما يحتاجهُ الفرد الأندلسي من مطورات للحياة ترفدهُ عليه التجارة، وإن لم يتسنَ للتجارةِ ذلك فالصناعةُ.

هَرَمُ الثروات هذا [زراعة – صناعة – تجارة] الذي على قمتهُ كانت (الصناعة) جعل من هذه الأرض سيلاً هادراً على أفرادها من الصفات الترفيّة، التي طغت على بعضِ شؤونهم الحياتية، من ثقافة وعادات وتقاليد وطريقة

معيشة تتغاير وتتطور مع الزمن، فأحدث هرم الاقتصاد تحولاً تاماً من الريفيةِ الزراعيةِ إلى نظام التمدن والتحضر.

كانت لهذهِ التطورات والثروات في أرض الأندلس التأثير المباشر والملموس على المجتمع الأندلسي، من عادات وتقاليد وثقافات وكل ذلك يعود إلى سعة العيش والتنعم وانطباق صفة الترف عليهم.

ومن المستويات الأخرى للترف الحسي [المادي] هو:

- **ثقافة الترف ومظاهره في المجتمع الاندلسي:**

قبل عرض نماذج من طبائع وعادات المجتمع الأندلسي لابد من التطرق إلى الوجود العرقي لتلك البلاد، فقد تنوعت أقطاب المجتمع الأندلسي بسبب الأجناس المختلفة التي وفدت عليه، من عرب وبربر ومولدون [نِتاج إختلاط عرب وبربر مع الإسبان]، وأهل الذمة من نصارى ويهود، والصقالبة، وغيرهم من الأجناس.

التنوع العرقي زاد من التنوع الديني وبدورهِ زاد في التنوع المجتمعي من عادات وتقاليد وطريقة عيش.

ما سردناهُ آنفاً من جمالِ طبيعةٍ وعذوبةِ مناخٍ وسعةِ عيشٍ نسجت في الأنسان الأندلسي طبيعةً ترفيةً مرهفة، فقد نقل لنا بعض متتبعي الثقافات والعادات عِبر التاريخ أن أهل الأندلس "بلغ من عجيب اعتنائهم بنظافتهم واهتمامهم بالاغتسالِ، إلى أن يكون فيهم من لا يملك سوى قليل من مال يشتري به طعام، ولكنه يفضل أن يبتاع بدلاً من الطعام صابوناً يغسل به ثيابه حتى يبدو أنيقاً رائقاً للناظرين"[30]، وكذا على المستوى العمراني في بناء الحمامات العامة فقد ذكر المقري عن ابن حيان أن عدد الحمامات "وصل في أيام المنصور في مدينة قرطبة 991 حماماً"[31]، هذا النصابُ في القول لا نعني بهِ أن كل من تنظف أو تزين داخلٌ في خانة الترف، لا، ولكن الإسهاب والإفراط الواضح في هذه المظاهر هو الذي جعل من أهل هذهِ الحقبة مشهورين بحياتهم وعاداتهم المجتمعية المُترفةِ والمُتنعمة.

وعلى مستوى الأُسرة فحالة المرأة في "الوسط الأرستقراطي المُتمثل غالباً في الطبقة الحاكمةِ أو طبقة الأعيان فهي غير مضطرة بشكل عام للقيام بأي عمل داخل البيت أو خارجه، لأن الأطفال تقوم الجواري والأُمهات الحاضنات بتربيتهم، وكذا جميع الأعمال المنزلية الأُخرى، ويظل هَمُّ المرأة محصوراً بالاهتمام بزوجها، وكيفية انتزاع حبهِ، وإزدياد إعجابه بها، وتصبح حظية عنده"[32]، ولكن هذا الإهتمام لم يوقف من انتشار ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع الأندلسي سواء على نطاق الطبقات الخاصة أو العامة، وخاصةً في بلاط الحكم[33]، وكانت العادة عندهم في نظام الزفاف والأعراس أن" تدوم حفلة الزفاف أسبوعاً كاملاً في بيت العروس، وبعدها تُزف إلى عروسها إلى بيتها الجديد وهناك تقام وليمة للرجال وأخرى للنساء، وكانت من أعظم حفلات الأعراس التي أُقيمت في الأندلس هو زواج (أسماء بنت غالبا)، وكان هذا العُرس مضرباً للأمثال بالبذخ والبهاء"[34].

إن الطبيعة الأندلسية " تركت في نفوس الأندلسيين آثاراً نفسيّة ووجدانيّة، كالفرح واللّهو والتّسلية"[35] حتى أصبح الاسهابُ في الغناء والطرب من العادات الدؤوبة الواجبة في المجتمع الأندلسي" فلا معنى لمجلس أُنس دون صوت حسن صادح، متناغم مع عزف العود والمزمار"[36]، واعتبر الغناء والرقص والموسيقى "منذُ مطلع القرن

الثالث الهجري أكثر وسائل اللهو شيوعاً وتفشياً في المجتمع الأندلسي، وهم من ابتكروا منصة الغناء التي يقف عليها المُغني والعازفون، وهم الذين أسسوا مدرسة الموسيقى التي انتشرت في كل الأندلس"[37]، فضلا عن ذلك أن مجالس الغناء في معظم الأحيان تملؤها الخمور والسكر، ومما ساعد على انتشار هذهِ الظاهرة في الأندلس وجعلها من المُستساغات عند المجتمع الأندلسي وشيوعها بأنها وسائل للترفيه لا أكثر هم فقهاء هذا المجتمع أمثال" ابن عبد ربه، وقاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى وغيرهم من المُتشرعةِ، ومما جعل ميل المسلمين في تلك الحقبة يزيد أكثر نحو هذه الظاهر اختلافهم [شريحة المُتشرعةِ] في الحكم على الغناء والموسيقى، فمنهم من أباحها مالم يكن معه منكر، ومنهم من حملها على الكراهةِ، ومنهم من أباحها من غير الكراهة"[38].

تفاقم هذه الظواهر والتشبع بها يُدخل مُعتاديها في صفة الترف بشكلٍ أو بآخر، كذا الأمر بالنسبة لبقية الظواهر المجتمعية، فعلى مستوى طريقة العيش والأكل والشرب وثقافات الملبس وارتداء الأزياء، فللَمجتمع الأندلسي طقوسهُ الخاصةِ بهذهِ المظاهر، فقد كانت الأطعمةُ والأشربة متنوعة وملونة من أطباق عربية وبربرية وأوروبية، في معظم طبقات المجتمع ولاسيما شريحة الأغنياء والطبقة الحاكمة.

وبتفاوت وتعدد العصور الأندلسية اختلفت وتميزت الأطعمة في كل عصر عن عصرٍ آخر، ولكن المشترك بينها هو نوعيّة الطعام الفاخر وكثرة أصنافهِ، فعامل الزمن كان له الأثر الكبير على عادات الأكل "فمع زواج الإسبانيات بالمسلمين عرفت المائدة الإسلامية أنواعاً مختلفة من الأكلات الإسبانية، مما كان له كبير الأثر في تسرب ألوان الترف والبذخ"[39].

كما وقد اشتهر الأندلسيون بأنواع الوجبات الفاخرة بالنسبةِ لذلك المجتمع أمثال طبق الثريد أو ما يسمى (الكامل) الذي يتكون من أنواع متعددة من اللحم والدجاج، و كثرة التوابل المضاف عليه وكانت تقدم بشكلٍ نموذجيٍ ومُنمق بطبقٍ كبير[40]، ومن مظاهر الترف المُنتشرةِ عندهم فإن "اللحوم والدجاج تعدُ من المصادر الرئسيةِ في أطباقهم حتى أنَّهم لا يميلون إلى غيرها في بعض الأحيان لتفاهته عندهم"[41]، ومن نماذج الإسراف في اللحوم والدجاج في الأندلس فقد كان الإستهلاك اليومي للحوم في قصر الزهراء لوحده من الحرس يفوق الثلاثة عشر ألف رطل، فتبلغ بذلك حصة الواحد أكثر من عشرة أرطال يومياً، وهذهِ العادة في كثرة الإقبال على الأطعمةِ الدسمةِ أدت بهم إلى حدوث بعض المشاكل المعدية أمثال الإمساك " وقد أشار ابن أبي أصيبعة إلى أن أهل الأندلس إذا أراد أحدهم إسهال طبيعتهِ أخذ من السقمونيا*، وزن ثلاثة دراهم حتى تلين طبيعته بمقدار مايلينها نصف درهم في بلدنا"[42]، وهذهِ الحالة تُنبأ عن شدة انغماسهم بالترف.

وتعدى هذا الانغماس بصفة الترف في المطبخ الأندلسي إلى الأواني المستعملة في الطبخ وطريقة تقديم الطعام، قاستعملوا " أواني الفضة والزجاج والأديم الناعمة واللينة، واهتموا بطريقة تقديم الطعام فيبدأ تقديم الطعام بأطباق الشوربة، ويتبعها مُقدمات اللحم ثم أنواع الطيور المُتبلة والملونة ويعقبها في النهاية الأطباق المُحلاة والفواكه"[43].

هذا الحرص والإصرار في أدق التفاصيل في قضية الطعام والشراب يعطي دليلاً واضحاً ملموساً على أنَّ المجتمع الأندلسي مجتمعٌ مترف، وتأكيد الحجةِ أكثر فهناك مظهر آخر لصفةِ الترف تجلا عندهم في:

- **ثقافة التأنق:**

فإنّ للأزياء مع الانسان علاقة تلازم مستمر تمتد من الولادة حتى الموت، وتكون اختلافها حسب الموقع الإجتماعي والطبقة الاقتصادية والظروف المناخية.

اللباس الغالب على طبقات المجتمع الأندلسي هو "الملف المصبغ والكتان والحرير والقطن"[44]، وقد اعتنوا بأدق التفاصيل في اختيار الأزياء وصنعها، من أنسجة وجلود وطريقة خياطة.

كان الحظ الأوفر لصنف أزياء النساء في قضيّة الترف، ومن ثَمَّ نال ذلك الحظ ألبسة الرجال، فتوسعت وتنوعت صنوف الأزياء بأرقى وأفخر أنواع الأقمشةِ من الحرير والكتان والصوف والقطن، وأبرز ما أظهر عليهم صفة الترف في قضية الأزياء هي اختيارهم للألوان الزاهية والجذابةِ للنساء والرجال على حد سواء، فقد وصفهم ابن الخطيب برونقِ ملبسهم قائلاً " فتبصرهم في المساجد أيام الجُمع، كأنهم الأزهارُ المُفتحة في البطاح الكريمة، تحت الأهوية المُعتدلة"[45]، واتصفت النساء الأندلسيات بالمبالغة في كلّ تفاصيل الزينة، فأكثرنَّ من "الخواتيم والخلاخل والدمالج والأساور والتيجان المرصعة بالياقوت والزمر"[46]، وسرت تلك المبالغة في أدوات التبرج من " الطيوب والعطور والمراهم، وكانت أولى اهتمامات المراة الأندلسية اياً كان وضعها الإجتماعي وحالتها المادية"[47].

هذهِ المظاهر التي برزت عند نساء ورجال المجتمع الأندلسي أدخلت مُرتاديها بأيقونة الترف، فالناظر للحياة الاجتماعية في الأندلس يجد هذهِ الصفة مطبقة عليها بشتى جوانبها تقريباً.

هذهِ المظاهر هي مقدمات لحياة تملؤها الرفاهية والتنعم وكثرة المُلهيات الدنوية، فقد نتج لنا من هذا المجتمع المترف الأعياد والمناسبات والحفلات، وهي كثيرة بكثرة المظاهر الترفية في الحياة الأندلسية، فقد بالغوا في الاحتفال والإعداد لمناسباتهم وأعيادهم[48]، فأقاموا الغناء والرقص والموسيقى والألعاب المختلفة.

تراكمية صفة الترف في الجوانب الحسية [المادية] لهو مؤشر واضح على انطباق هذه الصفة عليهم، فالمبالغة في الجانب العمراني من مساجد وقصور وحدائق، وغزارة الثروات الطبيعة و الزراعية والصناعية والتجارية، وتوغلها في حياتهم الإجتماعية من عادات وتقاليد ومناسبات جعلت من حياة الفرد الأندلسي " تفنن في الترف، واستجادة أحواله، والتكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للمطابخ، أو الملابس أو المباني، أو الفرش"[49]، هذه المظاهر من الترف المادي بسطت لنا محيط ما نحن بصددهِ من دراسة، التي من طريقه نستطيع معرفة مدى تأثر تلك النصوص بالترف من حيث الجهة الحسية المادية الظاهرة.

المبحث الثاني: الترف المعنوي

للطبيعة البشرية بُعدان، أحدهما مادي، والآخر معنوي، وقيومية البعد المادي بالبعد المعنوي، كما أن لهذا الوجود في نظرية القرآن الكريم بعدان الأول شهودي والآخر غيبي وقيومية عالم الشهادة بعالم الغيب، وما الإنسانُ إلا نموذجاً مطوياً في عالم الوجود هذا.

فعندما يكون هنالك بعد مادي ملموس تتجلى فيه صفة الترف فإن هناك بعداً معنوياً يتداخلُ فيهِ الترف فيظهر في البعد المادي.

مظاهر الترف المُحسةُ بالحواس تمثل الجزء المادي من صفة الترف، ولكن هناك أشياء كثيرة أُخرى يحسُ بها الإنسان ولكنها غير ملموسة، ولكن تظهر للعيان عن طريق الشعور والمُخالطة والتجربة.
ويقسم الترف المعنوي نماذج متعددة منها:

- **الترف الفكري**

كما أن الإسهاب في غير الضروريات من حاجة الإنسان المادية يعدُ ترفاً، كذلك في حالة الإفراط والإطناب في المفاهيم البعيدةِ عن الواقع البشري وغير الضروريةِ في الجانب الثقافي والأدبي والمجتمعي فإنها تعدُ خارجةً عن حاجة الفكر[50] وهذا ما يعدُ بالترف الفكري.

ومنها أيضاً الموضوعات التي انقضى زمانها ولم يكن لذكرها فائدة للفكر البشري أو للامتداد الثقافي، وكذا حال التي لم يَأتِ وقتها، أو الحديث والسرد عن موضوعات لا نفع لها والخوض فيها عقيم وليس لها من أثر إيجابي ولا حتى سلبي، فتدخل كل هذهِ المظاهر في خانة الترف الفكري.

ولتوضيح صورة الترف الفكري أكثر نعمد إلى طرح مثال يوسع لنا ذلك المفهوم، فقد جاء لنا في الأثر عن سيرة سيد البشر الرسول محمد صلى الله عليهِ وآلهِ، منقولاً عن ولدهِ أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال "دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل !؟، فقال: ما هذا؟، فقيل: علّامة، فقال: وما العلّامة؟، فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه..."[51]، لخصت لنا هذهِ الحادثة وما ذكرهُ النبي الأكرم صلوات الله عليهم وآله وسلم جوهر الترف الفكري، فكل علمٍ لا ينفع من علمه ولا يضرُ من جهله فهو ترفٌ فكري، وكذا كل توجه لا ينتهي إلى هدف، وهذا الأمر سائر في الشعر أيضاً، فحين يقضي الشاعر وقت في التفكير أو يكتب قصيدة طويلة وهي لا تؤدي وظيفة ولكن قالها لاستدرار الإموال والهدايا أو لإثبات شيء لنفسه ما هو ببالغه فهذا ترف فكري، فإن الشعر للإنسان الذي لا يحمل هماً لقضية ما أو هدف لحقيقة يريد الوصول إليه فأن ذلك ترف فكري[52]، وهذا النوع من الترف المعنوي قد شغل الساحة الأندلسية في ذروتها إذ تشعب وانتشر الترف الفكري لدى الشعراء والمؤلفين.

فابتعد بعض الشعراء في ذلك المجتمع عن أبجديات القضايا المهمة والمحورية للفكر والثقافة، وتطرقوا إلى وصف القصور والحلي ومظاهر الحياة الفارهة والفاخرة التي لا تمتُ إلى موضوعية العلم السامي بأي صلة، ومن نماذج هذا الترف الفكري وصف الشاعر عبد الجليل بن وهبون لقصر المعتمد الذي شيده بعد استلامه منصب الإمارة، والذي يُدعى بقصر الزاهي، قائلاً:

وللزاهـــي الجمـــال ســـناً وحســـنا ... كمـــا وســـع الجلالـــة والكمـــالا

يحـــاط بشـــكله عرضـــاً وطـــولاً ... ولكـــن لا يحـــاط بـــه جمـــالا

وقـــور مثـــل ركـــن الطـــود ثبـــت ومختـــــال مـــــن الأنـــــس اختيـــــالا

فلـــو أوتـــوا حـــرام الســـحر منـــه لا ضـــحى يعبـــد الســـحر الحـــالا[53]

ثم ينتقل ليصفهُ بالتفصيل في كلِّ محتوياتهِ المزخرفة والمذهَّبةِ، فيقول:

وللبهـــو البهـــي ســـماء نـــور يمثـــل خلقهـــا شـــكلاً، وحـــالا

مزخزفـــة كـــأن الوشـــي ألقـــي عليهـــا مـــن طرائفـــه خيـــالا[54]

ومن ثم توغل أبو الحسن البكري ليصف تماثيل القصر ورسومه، قائلاً:

قـــــرن الغزالـــــة أم معقـــــل يكـــاد الجمـــاد بـــه يعقـــل

قـــراره أنـــس بكـــنس الظبـــاء بـــدار الضـــراغمة البســـل

تجـــرد أفواهمـــا فـــي الصـــفاء ســـيوفا بشـــمس الضـــحى تصـــقل[55]

عندما يتحول التراث الفكري الشعري إلى هذهِ الأمور التي لا تبني حضارة ولا تصلح في مجتمع، وما هي سوى مفردات رصفت ليستبدلها قائلها بدراهم تقربهُ من أصنامهِ زُلفى.

وكذا الحال في وصف الطبيعة المبالغ فيه في بعض المواطن، وصف الأطعمة والأشربة في أبياتهم الشعرية، وعلى مستوى الكتب، فقد أُلفت مصادر كثيرة في الطبخ والمطابخ والألبسةِ، نحو كتاب (الطبيخ في المغرب والأندلس– صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، وكتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان– علي بن محمد بن رزان التجيبي، وكتاب الطبيخ الأندلس).

هذهِ العناوين هي من مهّدت الطريق لوصول صفة الترف إلى الفكر الأندلسي، ولكن هناك بعض المُسببات أسهمت أيضاً في ظهور الترف الفكري، ومنها "إنتشار المكتبات والكتب في جميع أنحاء البلاد، وكَثُرَ عشاقها، وكَثُرَ التأليف والمؤلفون، وأصبحت متاحةً للجميع من دون عناء في كل مجالات العلوم والأديان،"[56] فقد "بلغ عدد الكتب في قرطبة فقط أربعمائة (400) ألف كتاب، في زمن لم تظهر فيه المطابع والطباعة بعدُ، كانت المداولة عن طريق النسخ اليدوي[57]، وكما أن الطبقة الحاكمة " شجعوا واستقبلوا هذهِ الظاهرة، وشاركوا الشعراء والأدباء والمفكرين في مجالاتهم"[58]، لهذا المُسببات جانب سلبي كما أنّ لها جانباً إيجابياً، فاستقبال وتشجيع كل هذا التوسع بدون ضابطة فكرية أو ثقافية جعل من القاصي والداني الدخول في مجال الفكر والتأليف، للحصول على الجوائز والهِبات من ذوي السلطة، هذا ما جعل الترف الفكري يتفشى في المجتمع الأندلسي.

كان لنموذج الترف الفكري الأثر الواضح على الأندلس، وهناك نموذج آخر للترف المعنوي اصطلحنا عليهِ:

- **الترف النفسي**

يمكن تعريف هذا المصطلح بأنه التوهّمات الداخلية التي تضع صاحبها في قوقعة التعالي والتبجح والتكامل المفروغ من معناه.

ولعل أبرز نموذج لهذا النوع من الترف الطبقة الارستقراطية والبرجوازية، والذين يمثلون قمة الهرم المجتمعي في نظر أفلاطون[59].

إن هذه الطبقة توهمت بأنّها النُخب التي يجب أن تكون فوق البسطاء، ولذلك نرى أفلاطون يجعل أحد صفات هذه الطبقة أزلية الوجود والتفوق العسكري[60]، وقد تمثلت هذه الطبقة بالمجتمع الأندلسي بالحكامِ وبعض الأغنياء والإقطاعيين.

تفاقم التوهّم في نفوس هذه الطبقة حتى وصل وصل بهم التعالي أن تكبروا على جُلِّ الناس، وهذهِ الريح نشمها في حركاتهم وسكناتهم وما هدر بهِ لسانهم، ومن أمثلة ذلك قول يوسف الثالث، وهو يرى بنفسه السمو والعلو والتعالي على كل الوجود، حتى الخير لا يأتي إلاّ من بين يديه، والنفع والضر منحصرٌ فيه، فيصدح قائلاً:

ألســـتُ ســـليل الصّـــيد مـــن آلِ حميـــر وخيـــر ملـــوك الأرض قومـــاً ولا فخـــر

لنـــا المنصـــب الأعلـــى علـــى كـــل منصـــب لنـــا العـــزة القعســـاء والغـــرَر الغـــرّ

لنـــا الهضـــبة الشـــماء ســـامية الـــذُّرى لنـــا الرايَـــةُ الحمـــراء يهفـــو بهـــا النصـــر

لنـــا الملـــك والتمليـــك والعـــز والعلـــى لنـــا الجبـــر والإعـــدام والنفـــع والضـــر

مكـــارم أعيـــتْ كـــلَّ مـــن رام حَصـــرها وهيهـــات مـــا للشـــهب فـــي أفقهـــا حَصـــر[61]

فتعالت أنفةُ الترف في نفوسهم إلى أن ألبسوا نفوسهم هذهِ الصفة، وعندما قسم أفلاطون النفس إلى أنواع، نعَتَ الداخلين في الترف النفسي بأصحاب النفس العاقلة، ومن يحيطون بهم ويحمونهم من قادة وحرس بالنفس الغضبية، وعامة الناس من الشعب بالنفس الشهوانية[62]، بذريعة أنهم محتاجون دائماً لأصحاب النفس الأولى [النفس العاقلة].

- **الترف في الإنفعالات الحميميةَ:**

وهذا النوع من الترف في المضمار المعنوي قد ساد وانتشر في المجتمعات، في السابق والآن، فإن الحوائج الداخلية للإنسان جعل الله قضاءها في ضمن قوانين وحدود، وجعل لتعادل هذهِ الانفعالات طرفين، الطرف الأول يمثلهُ العنصر الذكوري والطرف الثاني يمثلهُ العنصر الأنثوي، وعلى هذا القانون جرى كبحُ هذهِ الإنفعالات.

ولكن حين ما تتعدى الانفعالات الحميمية هذا القانون بتغيير طرفي المعادلة فهنا يقع الترف الحميمي، أو الترف الجنسي.

عندما يدخل الترف في علاقة هذهِ الانفعالات يحول طرفي المعادلة من عنصر ذكوري وعنصر أنثوي، إلى عنصرين ذكريين أو عنصريين أُنثويين، يفضي أحدهما بالآخر تلك الانفعالات، وهذا ما شخصهُ القرآن الكريم والسنة النبوية، وأُصطلح عليهِ (اللواط والسحاق)، وحُدث هذا المصطلح في الثقافة الغربية ليطلق عليهِ (العلاقة المثلية أو المثليون).

وكانت هذه الظاهرة لها صداها الواسع في المجتمع الإسلامي عامة والمجتمع الأندلسي خاصة.

عاشت ممارسات المثلية في العصور الإسلامية الوسيطة وانغمس كثير من الشعراء وعدد من الخلفاء في المثلية والغلمانية، ففي العصر العباسي الأول كان الشاعر والبة بن الحباب المُلقب ب(شيخ الماجنين)، أحد أركان هذهِ الظاهرة وهو القائل:

أقول له على طرب .... نباطي

فإن الخمر ليس تطيب إلا ..... باللواطِ[63]

ومن حذى حذو والبة بن حباب غلامه وتلميذهُ أبي نواس.

ومن شعراء هذا المجال "صفي الدين الحلي والذي عرف بحبهِ للغلمان وقصيدته (الحمضيات) التي وصف فيها ما يكون من ممارسة هذا المنكر مع الغلمان، وحمادة الراوية، وابن إياس الذي عاشر العهدين الأموي والعباسي"[64]

أما الأندلس فقد احتل الغزل بالمذكر جزءاً كبيراً من الشعر الأندلسي، فقال فيه الكثيرون، أمثال إبن سهل الأشبيلي، وابن زهر أبو بكر الإشبيلي وابن البني، وابن شهيد الأندلسي.

فنجد أن هذا النوع من الترف الذي أحد نماذجه التغزل بالمذكر" كان ظاهرةً متفشيةً في الأندلس ومجتمعها، حتى هؤلاء الذين ترتبط أسماؤهم بصفات الوقار [كما ينقل التاريخ] قد تورطوا في إنشاء شعر الغزل للغلمان"[65]، أمثال ابن حزم الأندلسي، عندما "مر يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين من مدينة أشبيلية، فلقيهما شاب حسن الوجه جميل القامة، فقال أبو محمد ابن حزم: هذهِ صورة حسنة وهو على استلذاذ به، فقال له أبو عمر: لم تر إلا الوجه، لعل ما سترته الثياب ليس كذلك، فقال ابن حزم إرتجالاً"[66]:

وذي عـــذل فـــيمن ســـباني حســـنه ... يطيـــل ملامـــي فـــي الهـــوى ويقـــول

أمـــن أجـــل وجـــه لاح لـــم تـــر غيـــره ... ولـــم تـــدر كيـــف الجســـم أنـــت عليـــل

فقلـــت لـــه أســـرفت فـــي اللـــوم فاتئـــد ... فعنـــدي رد لـــو أشـــاء طويـــل[67]

هذهِ النتائج لابد له من مُقدمات تبعث على تفشي هذهِ الظاهرة، ومن هذهِ البواعث:

- **الباعث الفني**

يطرح البعض رأياً بأن سبب الدخول في هذا المضمار هو سبب فني، فيقول الشاعر الأندلسي في هذا الغرض لإثبات مقدرتهِ الشعرية والفنية، محاكاةً لمشاهير الشعراء الباقين في هذا الموضوع من الشعر[68].

- **الباعث النفسي**

يُشخص هذا الباعث على أساس نزعة نفسية مرضية تتمثل بولعهم وعشقهم للغلمان والتعبير عن هذا الحب الشاذ شعراً[69]، وهذا يمثل الانحدار بالنعم وصولاً إلى مرحلة الترف الجنسي.

- **الباعث الاجتماعي**

إذا كان ما سلف من بواعث [فني – نفسي] أسهمت في بروز شعر الغزل بالغلمان فإن "تقبل المجتمع الأندلسي له قد ساعد وشجع على شيوعهِ بوجه لافت للانتباه، ويمكن إرجاع ذلك إلى الترف نعم بهِ قسم كبير من الأندلسيين"[70]، متتبع هذهِ الظاهر في المجتمع الأندلسي يجد أن هذهِ العادة قد أصبحت جزءاً بارز من كيان الأندلس، و "هذا ما أوجده الترف في المجتمع الأندلسي، فمن مفاسد الحضارة الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف، فيقع التفنن في الشهوات والملذات، ومن ضمنها ذلك التفنن بشهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط"[71].

الترف في الانفعالات الحميمية أو ترف الجنس، هو أيضاً أحد مضامين الترف المعنوي التي انغمس فيها المجتمع الأندلسي، وغزل الغلمان واللواط بهم هو أنموذج من نماذج هذا الترف، جرفهُ إليهم إسرافهم بملذاتهم وبعدهم عن جادة الصواب المُتمثلة بالقوانين الإلهية.

- **الترف الوراثي**

هذا النوع من الترف المعنوي يعبر عنه بأنهُ منظومةٌ مُترفةٌ من العادات والتقاليد المُتمثلةِ بالتراث الثقافي للفرد، وتبرز فعالية هذا النوع في الحركةِ الوراثية للصفات النرجسية أو ما يصطلح عليه ب(الوارثة النرجسية)، فما إكتنزهُ الآباء من هذهِ الصفات ورثهُ الأبناء.

أصحاب الصفات النرجسية يوصفون بحبهم العميق لذواتِهم، والصفة العامّة لهذا المصطلح "الأنانية"، إذ أنّ الإنسان النرجسي يرى نفسه الأفضل في كل شيء مهما كان، ويضع الآخرين بمكانة أقل منه ويرى نفسه محور الكون.

وهذا النوع ساد في كثير من المجتمعات لاسيما في المجتمع الأندلسي في طبقة الأمراء والملوك والرؤساء والأعيان وبيوتات الأسر المعروفة والمشهورة في الأندلس.

فتراهم يفتخرون دائماً بأفعال آبائهم وأجدادهم ويجسدون ذلك في أقوالهم من "الخليقة الفردية في الوفاء والمروءة والعزة و الكرامة وغير ذلك من الشّيم الرفيعة كما يتغنون بعصبيتهم القبلية والقومية وبأسهم و شجاعتهم الحربية التي يسحقون بها أعداءهم"[72]، فهذا المستنصر بن الناصر يفخرُ بأصلهِ ونسبهِ وبصفات الملك والأبهة التي تنتقل لمواليدهم، فينشدُ قائلاً:

ألســـنا بنـــى مـــروان كيـــف تبـــدّلت بنـــا الحـــال أو دارت علينـــا الـــدوائر

إذا ولـــد المولـــود منـــا تهلّلـــت لـــه الأرض و اهتـــزّت إليـــه المنـــابر[73]

فهذان البيتان هما نموذجان لهذا النوع من الترف، فأنّ القائل هنا يفخر بالصفات المترفة من المُلكِ والأُبّهةِ التي يتوارثها الأبناءُ من الآباء والأسلاف.

عند دخول الأندلس في هيكلية صفة الترف المتمثلة بالترفِ في الطبيعةِ والترف المادي والترف المعنوي جعل من الأندلس أيقونة للترف.

فقد اشتملت على الصفات المترفةِ من كلِّ جانب، فتاريخ الأندلس و موقعها الجغرافي وظروفها البيئية والمناخية الملائمة نحتت لهذهِ الأرض طبيعةً مترفةً في كل معالمها الطبيعية تقريباً، ومازادَ من دخولها في هذهِ الصفة انغماسها في المظاهر المادية من مبالغة في العمران وكثرة الثروات الزراعية والمعدنية وما درَّ عليها من تخمة الاقتصاد في القطاع التجاري والصناعي، والتأثر المجتمعي بصفة الترف ومظاهره الحسية المبثوثةِ في العادات والتقاليد والطبائع، وتوغل ذلك الانغماس في المستويات المعنوية من ترف فكري ونفسي و وراثي وحتى في مستوى الانفعالات الحميمية.

ريادة الأندلس في صفة الترف قد جعلت لمواطنها الريادة نفسها في مستوى هذه الصفة، فجرى تأثير الترف في صفاتهم الجينية والحركية والمزاجية، ولعل هذا التأثر جارٍ في معظم طبقات المجتمع الأندلسي.

في هذا الفصل تحقق طرف المعادلة الأول من معادلة الأنساق المضمرة في النقد الثقافي، المتمثلة بواقع المحيط الخارجي للنص ومُلقيه، والذي عن طريقه نعمد إلى استظهار الأنساق المضمرةِ في نصوص إحدى طبقات المجتمع الأندلسي المتمثلةِ بطبقة الملوك والأمراء، فكما جرى تأثير صفة الترف في صفاتهم وطبائعهم البشرية فقد جرت في ألسنتهم وألفاظها على نحو عام وعلى نِتاجهم الأدبي المتمثل بنصوصهم الشعرية على نحو خاص، ومن ثم يأتي طرف المعادلة الثاني الذي نستقرئ فيه أنساق الترف المضمرةِ في تلك النصوص بمنظورٍ قرآني واضح يشتمل على معظم المفاهيم المضمرةِ لأنساق الترف، هنا تكمن أهمية الطرف الأول المتمثل بالترف في الأندلس.

نتائج البحث

1- بان أثر الترف في الاندلس من طريق السلوكيات والثقافات في الاقوال والافعال، واقرب من برزت فيهم هذه الاثار في الاندلس هم الطبقة الحاكمة المتمثلة بالملوك والامراء.

2- مثلث الترف المادي المتمثل بالمبالغة في الهندسة العمرانية ونمو الثروات والعناية بالكماليات في الصناعة، وازدهار التجارة والزراعة، مظاهر دلت على عمق ثقافي متجذر للترف في المجتمع الاندلسي ولا سيما طبقة الملوك والامراء المولعة بالترف.

3- كان لمظهر الترف المعنوي الدور الغالب على الحياة في الأندلس، عن طريق الترف الفكري المتمثل بإسهاب المواضيع التي لا طائل منها من خلال الأدب والعلوم وغيرها، وكذلك الترف النفسي الذي وضع بعض صنوف المجتمع ولاسيما الطبقة الحاكمة في قوقعة التعالي والتكبر، وتفشى عندهم الترف في الانفعالات الحميمية فظهر عندهم غزل الغلمان الذي أدى بظهور اللواط والسحاق في المجتمع، وعلى قدر ما استشرى الترف فيهم فقد انتقلت صفاته من الآباء إلى الأبناء وجرت في الأحفاد ولعل أقرب نموذج لذلك الترف هما المعتضد وأبنه المعتمد وأبناؤهما.

الهوامش:

(1) ينظر لسان العرب مادة (ترف)، جمال الدين محمد ابن منظور، نشر أدب الحوزة، قم – إيران 1405 هـ:9: 17.

(2) ينظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط 8.2005م:3: 120.

(3) مُختار الصحاح، محمد بن عبد القادر الرازي، تح. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1. 1994م: 48.

(4) يُنظر تاج العروس، محمد مرتضى الواسطي الزبيدي، تحَ. علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 1994م:12: 99.

(5) يُنظر مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، تح. جان عبدالله توما، دار صادر، بيروت – لبنان:1: 150.

(6) دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح. محمد التنجي، دار الكتب العربية، بيروت–لبنان، ط1. 1995: 66

(7) يُنظر مفسدات القلوب، محمد صالح المنجد، مجموعة زاد – الرياض، ط1 2017 – 1438: 7–8

(8) سورة المؤمنون: 64، وهذا المنطق في ذم الترف اتفق عليه الفريقان في تفاسيرهم ورواياتهم، راجع الطوسي في تبيانهِ، دار الكتب العلمية، ط1:6: 81 / والطباطبائي في تفسير الميزان، مؤسسة الأعلمي، ط1:11: 61. / والكليني في كتابه الكافي، دار النشر الإسلامي، ط4:8: 17./ وكذا الزمخشري في الكشاف، دار الكتب العلمية، ط5:2: 450. / وابن كثير في تفسيره، دار المعرفة، ط1:3: 355–356. / وما وراهُ مسلم النيسابوري في صحيحهِ:8: 135.

(9) سورة الواقعة: 41–45.

(10) معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تح. محمد صديق المنشاوي، دار الفضلية، القاهرة: 23

(11) يُنظر المساجد والقصور في الأندلس، الدكتور عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، مصر، ط–1986: 28–9.

(12) يُنظر عمارة المساجد في الأندلس – قرطبة ومساجدها، باسيليو بابون مالدونادو، ترجمة: د. علي ابراهيم منوفي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، الإمارات العربية المتحدة، ط1– 2011: 204–205.

(13) يُنظر عمارة المساجد في الأندلس – قرطبة ومساجدها: 211.

(14) يُنظر غابر الأندلس وحاضرها، محمد كرد علي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1–1923: 114–122.

15(15) يُنظر المساجد والقصور في الأندلس: 99–104

(16) ديوان ابن زيدون ورسائله، تح. علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر: 520/ وفي نسخة أخرى ديوان ابن زيدون، تح. عبدالله سنده، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط1–2005:196.(الكامل)

(17) ديوان ابن حمديس الصقلي، تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان: 545–546(البسيط)

(18) يُنظر العمارة الإسلامية والبيئة، د. م. يحيى وزيري، عالم المعرفة (مطابع السياسة)، الكويت، ط1–2004: 220–223.

(19) ينظر قصور وحدائق الأندلس (دراسة تراثية – عمرانية – جمالية)، محمد هاشم النعسان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2017: 86.

(20) يراجع الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية: 111–160–166–241.

(21) صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسياً واجتماعياً وثقافياً، عمر ابراهيم توفيق، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011: 94

(22) يُنظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابوالحسن علي بن بسام الشنتريني، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ط1–1979:1: 18.

(23) ينظر طرائق الزراعة في بلاد المغرب والأندلس خلال – القرون الأربعة الأولى من الفترة الإسلامية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير قدمها الطالبين علي دش وبلال فيفي، جامعة محمد بوضياف، 2016–2017: 47–48–55

(24) يُنظر الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية:3: 2.

(25) ينظر جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس، د. محمد بن عبود، تقديم الأستاذ محمد المنوني، مطبعة النور، تطوان – المغرب، ط 1987: 98–99–100.

(26) ينظر النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، عز الدين أحمد موسى، دار الشروق – مكتبة المهتدين الإسلامية، ط1–1983: 302.

(27) يُنظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت – لبنان، ط1– 1998:2: 1041.

(28) ينظر قصة فتح الأندلس (من الفتح للسقوط):1: 160– 161.

(29) يُنظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: 2: 1063.

(30) ينظر نفح الطيب:1: 223

(31) قرطبة حاضرة الأندلس، الدكتورعبد العزيز سالم، مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997:1: 183.

(32) العادات والتقاليد في الأندلس، نبيلة العاجي و وردة مسعود، إشراف الأستاذ مصطفى باديس، جامعة آكلي محند اولحاج–كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم تاريخ، 2018–2019: 19. / وينظر الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان (من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة 92–422هـ)، دكتور خالد حسن حمد الجبالي، مكتبة الآداب، ميدان الآبورا – القاهرة، 2004: 92.

(33) ينظر الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان: 62.

(34) يُنظر المصدر نفسه: 45

(35) صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسياً واجتماعياً وثقافياً: 94

(36) يُنظر قرطبة حاضرة الأندلس:2: 78.

(37) يُنظر الأعيادُ في مملكة غرناطة، أحمد مُختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، الناشر وزارة التعليم العالي – الإدارة العامة للتمثيل الثقافي – المعهد المصري للدراسات الإسلامية: عدد 15: 140.

(38) يُنظر المُغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ابن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط1–1405هـ: 12–42.

(39) يُنظر الترف في المجتمع الأندلسي، إعداد الطالب نادر شرف زيارة – بإشراف الدكتور خالد يونس الخالدي، الجامعة الإسلامية – كلية الآداب – قسم التاريخ، غزة، 2010: 102. / نقلاً عن كتاب المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، حسين دويدار، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1994: 288.

(40) يُنظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت – لبنان، ط1– 1998:2: 1021.

(41) ينظر (تاريخ ابن خلدون) مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مكتبة لبنان، بيروت:1: 160.

(42) الترف في المجتمع الأندلسي: 104.

***السقمونيا:** نبات يُستخرج منه دواء مسهل للبطن ومزيل للدود. / ينظر المعجم الوسيط:1: 437.

(43) يُنظر: حضارة العرب في الأندلس: 56.

(44) يُنظر اللمحة البدرية في الدولة النصرية، الوزير لسان الدين بن الخطيب، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة،1347هـ: 27– 39.

(45) اللمحة البدرية: 40–41. / و الإحاطة في أخبار غرناطة:1: 139.

(46) اللمحة البدرية: 102.

(47) يُنظر غرناطة في ظل عصر بني الأحمر (دراسة حضارية)، د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط1– 1993: 102.

(1) قد اختلفت وتشعبت واتسعت الأعياد والمناسبات على مستوى اليوم والأسبوع والشهر والسنة، وهذا الأمر راجع لكثرة نوافذ الترفيه والمُتعة، ولتعدد الطوائف والأديان والمذاهب في تلك الحقبة، فهنالك أعياد أيام الجُمع وأعياد الفطر والأضحى، وأعياد أهل الذمة ومن نماذجها عيد نيروز: هو أحد الأعياد الكبرى في الأندلس، وهو عيد السنة الفارسية يرمز إلى يوم استهلال السنة الشمسية عند الفرس حيث يقع في بداية السنة في أوائل يناير في كل عام. / عيد المهرجان العنصرة: هو عيد ميلاد يحى بن زكريا عليهما السلام الذي يسميه الإسبان بسان خوان المصادف 24 حزيران ويسمى هذا العيد بالعنصرة. / عيد يناير: شبيه بالنيروز تقدم فيه التهاني وتصنع خلاله أصناف كثيرة من الحلويات على شكل مدن ذات أطوار شبهها أحد الشعراء بالعروس، كانت تقدم في هذا العيد الأطفال لبسط الرزق فيه كما يخرج الرجال مع النساء للتفرج ويلبسون أحسن الثياب ويدعون أصدقائهم لقضاء الليل في الإحتفال والسهر. وهناك أعياد أخرى لليهود كعيد الفصح: ويسمونه عيد الفطر، ويكون في الخامس عشر من أبريل في كل عام يدوم سبعة أيام يأكلون فيها الفطير وينظفون فيه بيوتهم من خبز الخمير ذلك احتفال بذكرى خلاصهم من فرعون وغرقه. / عيد حوماريا: يسمى عند اليهود بالكابور وهو عندهم الصوم الكبير وعقوبة من لم يصمه هو القتل ومدة الصوم خمسة وعشرون ساعة ويزعمون أن الله يغفر لهم خطاياه بهذا الصوم. / عيد الأسابيع: يعرف بعيد الخطاب أو العنصرة، يحتفل به بعد عيد الفصح بسبعة أيام يصنعون في هذا العيد قطائف ويتفننون في صنعها يقع هذا العيد في فصل الصيف أي موسم الحصاد/ ينظر: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، أبو مروان ابن حيان القرطبي،تح: عبد الرحمان علي الحجي، دط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دت: 28 / و المغرب والأندلس في عصر المرابطين، إبراهيم القادر بوتشيش، ط1،دار الطليعة للطبعة والنشر، 1993: 87– 92. / نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، دط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، السفر الأول: 195–196 / و يُنظر: العادات والتقاليد في الأندلس من (7هـ – 9هـ / 13م–15م)، نبيلة العاجي – وردة سعودي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، إشراف الإستاذ مصطفى باديس أوكيل، جامعة البويرة – كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية – قسم التاريخ، الجزائر– مدينة البويرة، 2018–2019م: 49–51.

(49) تاريخ ابن خلدون:1: 465.

(50) يُنظر مقالات عكس التيار (حول الترف والإستبداد)، مختار الأسدي، دار الكتب العراقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط2– 2011: 277–280. / يُنظر حوار مع فضل الله حول الزهراء، السيد هاشم الهاشمي، دار الهدى لطباعة والنشر، ط2–2001: 40–42.هذان المصدران لم يتعرضا إلى تعريف الترف الفكري بشكل تفصيلي وجوهري وإنما كانت هناك بعض الإشارات والمُقاربات للتعريف الذي ذكرناه في المتن.

(51) الكافي، محمد بن يعقوب الكُليني، تح. علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط 3–1388هـ:1: 32..

(52) ينظر ديوان نازك الملائكة (شظايا ورماد)، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت–لبنان : 309

(53) ديوان عبد الجليل بن وهبون (الشاعر وشعره)، رسالة ماجستير، إعداد الطالب سعيد أحمد محمد الغامدي، بإشراف أ.د.حسن عبد الكريم الوراكلي، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى – كلية اللغة العربية – قسم الدراسات العليا: 192 (الوافر)

(54) المصدر نفسه: 192.

(55) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:4: 698.

(56) يُنظر مجلة معهد المخطوطات العربية، اهتمام المسلمين في الأندلس بالكتب، خوليان ريبيرا، ترجمة: جمال محرز: 86.

(57) ينظر الكُتب والمكتبات في الأندلس، دكتور حامد الشافعي دياب، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 1998.: 112.

(58) يُنظر مجلة معهد المخطوطات العربية: 86.

(59) ينظر مقدمة قصيرة جداً (الأرستقراطية)، ويليام دويل، ترجمة زينب عاطف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة – مصر، ط1–2016: 11.

(60) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، تح. عبدالله كنون، معهد مولاي حسن، تطوان–المغرب: 79–80

(61) شعر الملوك والأمراء في الأندلس:دراسة في مواضعاته وأساليبه: 55. /نقلاً عن ديوان الشاعر يوسف الثالث:63.

(62) يُنظر مقدمة قصيرة جداً (الأرستقراطية): 32.

(63) فوات الوفيات (والذيل عليه)، محمد شاكر الكتبي، تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان:4: 248.، وقد ورد هذا البيت بأشكال عدة، وحذفت منه المفردات لما فيها من خدش للحياء، وما ألزم الباحث ذكره هو عرض لحقائق الترف المتفشية بالمجتمع الأندلسي التي سرت له من محيط الأندلس والطبقة الحاكمة.

(64) ينظر الغزل بالمذكر في الشعر الأندلسي – بواعثه وخصائصه –، م. م. جنان خالد ماهود، جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية: 513–514.

(65) الأدب الأندلسي – موضوعاته وفنونه –، د. مصطفى الشكعة، دار الملايين، بيروت – لبنان: 54.

(66) ينظر نفح الطيب:2: 82

(67) المصدر نفسه: 2: 82.

(68) ينظر الغزل بالمذكر في الشعر الأندلسي: 517.

(69) ينظر الغز بالمذكر في الشعر الاندلسي: 516.

(70) الأدب الأندلسي – موضوعاته وفنونه –: 53.

(71) ينظر تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت لبنان:1: 311.

(72) يُنظر عصر الدول والإمارات في الأندلس، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط1– 1989: 210.

(73) نفح الطيب:3: 558.

المصادر والمراجع

القران الكريم

- الأدب الأندلسي – موضوعاته وفنونه –، د. مصطفى الشكعة، دار الملايين، بيروت – لبنان.
- الأعيادُ في مملكة غرناطة، أحمد مُختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، الناشر وزارة التعليم العالي – الإدارة العامة للتمثيل الثقافي – المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الخامس عشر.
- تاج العروس، محمد مرتضى الواسطي الزبيدي، تحَ. علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 1994م.
- تاريخ ابن خلدون– مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مكتبة لبنان، بيروت.
- التبيان، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح. أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث، بيروت–لبنان، ط1–1409
- الترف في المجتمع الأندلسي، إعداد الطالب نادر شرف زيارة – بإشراف الدكتور خالد يونس الخالدي، الجامعة الإسلامية – كلية الآداب – قسم التاريخ، غزة.
- تفسير ابن كثير، ابن كثير (ت 774هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، ط1، 1992م
- تفسير الكشاف، لابي القاسم جار الله محمود بن بحر الزمخشري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط5، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
- جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس، د. محمد بن عبود، تقديم الأستاذ محمد المنوني، مطبعة النور، تطوان – المغرب، ط 1987م.
- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت – لبنان، ط1– 1998م.
- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة – مصر، ط1– 2011.
- حوار مع فضل الله حول الزهراء، السيد هاشم الهاشمي، دار الهدى لطباعة والنشر، ط2–2001م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح. محمد التنجي، دار الكتب العربية، بيروت–لبنان، ط1. 1995م.
- ديوان ابن حمديس الصقلي، تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان.
- ديوان ابن زيدون ورسائله، تح. علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر/ و نسخة أخرى ديوان ابن زيدون، تح. عبدالله سنده، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط1–2005م.
- ديوان عبد الجليل بن وهبون (الشاعر وشعره)، رسالة ماجستير، إعداد الطالب سعيد أحمد محمد الغامدي، بإشراف أ.د.حسن عبد الكريم الوراكلي،المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى – كلية اللغة العربية – قسم الدراسات العليا.

- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، تح. عبدالله كنون، معهد مولاي حسن، تطوان–المغرب.
- ديوان نازك الملائكة (شظايا ورماد)، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت–لبنان.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابوالحسن علي بن بسام الشنتريني، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ط1–1979م.
- الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان (من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة 92–422هـ)، دكتور خالد حسن حمد الجبالي، مكتبة الآداب، ميدان الآبورا – القاهرة.
- شعر الملوك والأمراء في الأندلس: دراسة في موضوعاته وأساليبه، اطروحة قدمتها الباحثة رغدة علي الزّبون لنيل درجة الدكتوراه، إشراف الأستاذ الدكتور صالح جرّار، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م.
- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر، بيروت – لبنان.
- صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة سياسياً واجتماعياً وثقافياً، عمر ابراهيم توفيق، ط1،دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011م.
- طرائق الزراعة في بلاد المغرب والأندلس خلال – القرون الأربعة الأولى من الفترة الإسلامية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير قدمها الطالبين علي دش وبلال فيفي، جامعة محمد بوضياف، 2016–2017م.
- العادات والتقاليد في الأندلس، نبيلة العاجي و وردة مسعود، إشراف الأستاذ مصطفى باديس، جامعة آكلي محند اولحاج– كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم تاريخ، 2018–2019م.
- عصر الدول والإمارات في الأندلس، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط1– 1989م.
- العمارة الإسلامية والبيئة، د. م. يحيى وزيري، عالم المعرفة (مطابع السياسة)، الكويت، ط1–2004م.
- عمارة المساجد في الأندلس – قرطبة ومساجدها، باسيليو بابون مالدونادو، ترجمة: د. علي ابراهيم منوفي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، الإمارات العربية المتحدة، ط1– 2011م.
- غابر الأندلس وحاضرها، محمد كرد علي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1–1923م.
- غرناطة في ظل عصر بني الأحمر (دراسة حضارية)، د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط1–1993م.
- الغزل بالمذكر في الشعر الأندلسي – بواعثه وخصائصه –، م. م. جنان خالد ماهود، جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية.
- فوات الوفيات (والذيل عليه)، محمد شاكر الكتبي، تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط 8.2005م.
- قرطبة حاضرة الأندلس، الدكتورعبد العزيز سالم، مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.
- قصور وحدائق الأندلس (دراسة تراثية – عمرانية – جمالية)، محمد هاشم النعسان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2017م.

- الكافي، محمد بن يعقوب الكُليني، تح.علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط 3–1388هـ.
- كتاب المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، حسين دويدار، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1994.
- الكُتب والمكتبات في الأندلس، دكتور حامد الشافعي دياب، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 1998م.
- لسان العرب، جمال الدين محمد ابن منظور، نشر أدب الحوزة، قم – إيران 1405 هـ.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، الوزير لسان الدين بن الخطيب، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة،1347هـ.
- مجلة معهد المخطوطات العربية، اهتمام المسلمين في الأندلس بالكتب، خوليان ريبيرا، ترجمة: جمال محرز.
- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، تح. جان عبدالله توما، دار صادر، بيروت – لبنان.
- مُختار الصحاح، محمد بن عبد القادر الرازي، تح. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1. 1994م.
- المساجد والقصور في الأندلس، الدكتور عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، مصر، ط– 1986م.
- معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تح. محمد صديق المنشاوي، دار الفضلية، القاهرة.
- المُغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ابن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط1–1405هـ.
- مفسدات القلوب، محمد صالح المنجد، مجموعة زاد – الرياض، ط1 2017م – 1438هـ.
- مقالات عكس التيار (حول الترف والإستبداد)، مختار الأسدي، دار الكتب العراقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط2– 2011م.
- مقدمة قصيرة جداً (الأرستقراطية)، ويليام دويل، ترجمة زينب عاطف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة – مصر، ط1–2016م.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة – ايران
- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، عز الدين أحمد موسى، دار الشروق – مكتبة المهتدين الإسلامية، ط1– 1983م.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري التلسماني، تح.الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت– لبنان، 1968م.